حكايات بطولية للأطفال (٢٦)

من قصص الصمود

الكَنيسَةُ.. والمقبَرةُ

بقلم: روضة الفرخ الهدهد

حكايات بطولية للأطفال (٢٦)

من قصص الصمود

الكَنيسَةُ.. والمقبَرةُ

إقرت و كفربرعم

بقلم

روضة الفرخ الهدهد

الكاتبة الحائزة على جائزة الدولة التقديرية في أدب الطفل

رسوم الفنان : عبد الرؤوف شمعون

دقق النص : واصف بروان المشايخ

مقدمة

لم يغب اسم قريتي : "إقرت و"كفر برعم" عن ساحة النضال والصمود السياسي والإعلامي ، بفضل مواظبة أهل القريتين على إحياء هزين الاسمين وقضيّتهما في أذهان الرأي العام: المحلي والعالمي، وظل اسميهما يتردد في مسامعي وعقلي ، كإسمين موسيقيين ، لكن غريبين.

وقد التقى وفد "جمعية يافا للتنمية الاجتماعية " مع السيد "فوزي حنا ناصر" ، عندما كان الوفد يزور فلسطين لأول مرة ، فلسطين التاريخية ؛ وكان السيد "فوزي حنا ناصر"الدليل السياحي للوفد ؛ حيث أنه خبير بجغرافيا فلسطين وتاريخها شبراً شبراً ، وحقبة حقبة..

وتوطدت المعرفة فدعت الجمعية السيد فوزي لإلقاء محاضرة ، علمية ، ثقافية ، اجتماعية، نضالية عن تاريخ قريته ومسقط رأسه "إقرت" ، تلك القرية التي كان اسمها وجارتها "كفر برعم" يتردد في كتب التاريخ والجغرافيا والمراجع الفلسطينية المختلفة مثل "بلادنا فلسطين" لمصطفى مراد الدباغ ، و" الموسوعة الفلسطينية " ، ثم المواقع الإليكترونية على الشبكة العنكبوتية ، وفي وسائل الإعلام المختلفة؛

عندها قررت كتابة هذه القصة للأطفال لتبقى تعبيراً حيّاً وحقيقياً عن دور العرب المسيحيين في فلسطين للدفاع عن بيوتهم وأراضيهم،وعن مصير مئات القرى الفلسطينية التي هدمها الاحتلال وهجّر أهلها وشردهم في بقاع الدنيا .

وستبقى كذلك إلى أن يعود الحق لأصحابه مهما طال الزمن.

الكاتبة
روضة الفرخ الهدهد
٢٠١٦/١٠/١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

استيقظَ فوزي على أصواتِ صراخٍ وبكاءٍ ، استغربَ الأمرَ ، خرجَ من غرفتهِ إلى ساحةِ الدّار الوسطى، فرأى مَنْ في غُرفِ الدار قدْ خرجُوا للساحةِ !!

شاهدَ فوزي والدَهُ يَقفُ في زاويةٍ مَع الرّجالِ الأرْبعَة القاطنِينَ في الغُرفِ الأخرى مِن الدّارِ وشاهَدَ أمَّهُ تبكِي هيَ والنساءُ الأربعُ في زاويةٍ أخرى ..

واستغربَ أكثر عندما شاهدَ عَدداً كبيراً من الرّجالِ الآخرين يَدخلونَ الدّارَ لا يعرفِهم من قبل، فركضَ مُسرعاً إلى ذيلِ فستان أمّه يُمسِكُ بهِ مُحاولاً التحدّثَ إليها.. فلمْ تَهتمّ بِهِ ، ووجَدَ أنّ صَديقهُ نعمانَ قدْ انكمشَ هو الآخر قربَ والدتِهِ ، وكذلكَ فَعلَ صَديقهُ الثالث عفيف.. حتى البنات الأكبر احتشدنَ قُربَ بَعضهنّ البعض يَبكينَ على بكاءِ والداتهن.

لمْ يفهم فوزي الأمرَ كثيراً فهو لا يزالُ صغيراً ووالدهُ واخوتُهُ الأكبرُ منه لا يتحدّثون إليهِ في الأمورِ "السّياسيَّة" الصّعبة ، ويُبعِدونَه عنهم كلّما جاءَ رجالٌ من خارجِ الدارِ ليتحدثوا عن قريتِهم "إقْرِتْ".

كانت كلمةُ "إقْرِتْ" تتكرّرُ عشراتِ المراتِ على مسامعِهِ كلّما اجتمعَ هؤلاءِ "الكبار".. ولمْ يكد يعرفُ ما هي "إقرِتْ" !!. ولا ماذا تعني!!

فلمّا شاهدَ وسَمِعَ البُكاءَ والصراخ ، أدركَ أنّ أمراً خطيراً قدْ حدثَ ؛ فما الأمرُ يا ترى !!؟

عندما طلبَ والدُ فوزي مِن زوجتِهِ إعداد "القهوةِ" للضيوفِ ، لحِقَ فوزي بوالدتِهِ فسألها بإلحاحٍ أنْ تشرحَ لهُ ما الأمرَ ..

قالتْ : بيتُنا يا فوزي ، بيتُنا في بلدِنا "إقرِتْ" ، هدمهُ اليهود.

واستغربَ فوزي :

- وهلْ لنا بيتٌ غير هذا البيتِ الذي نسكنُه الآن؟!

- نعم يا حَبيبي ، بَيتُنا في بَلدةِ "إقرِتْ" التي كُنّا نَسكُنها قبلَ أن تُولد أنتَ ، بل قبلَ أنْ يُولد أبوكَ أو أولَدُ أنا.!!

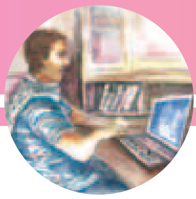

وضَربتْ بيديْها على خَدّيْها ، ومَسحَتْ دُموعَها وهيَ تغلي القَهوةَ على النارِ وتقول:

- بَيتنا وبيتُ أهل أصحابِك نعمان وعفيف والبنَات و أهاليهم الذين يَقفونَ في السّاحةِ ، كلّ بيوتِهم الكبيرةِ والجميلةِ في بَلدِنا ''إقْرتْ'' ، هَدمَها اليَهودُ اليومَ.

وعادَت أمّهُ لِلَطمِ خدّيها وفَخذَيْها ، وفوزي حزينٌ ومتضايقٌ وهيَ تنشُجُ بالبكاءِ.

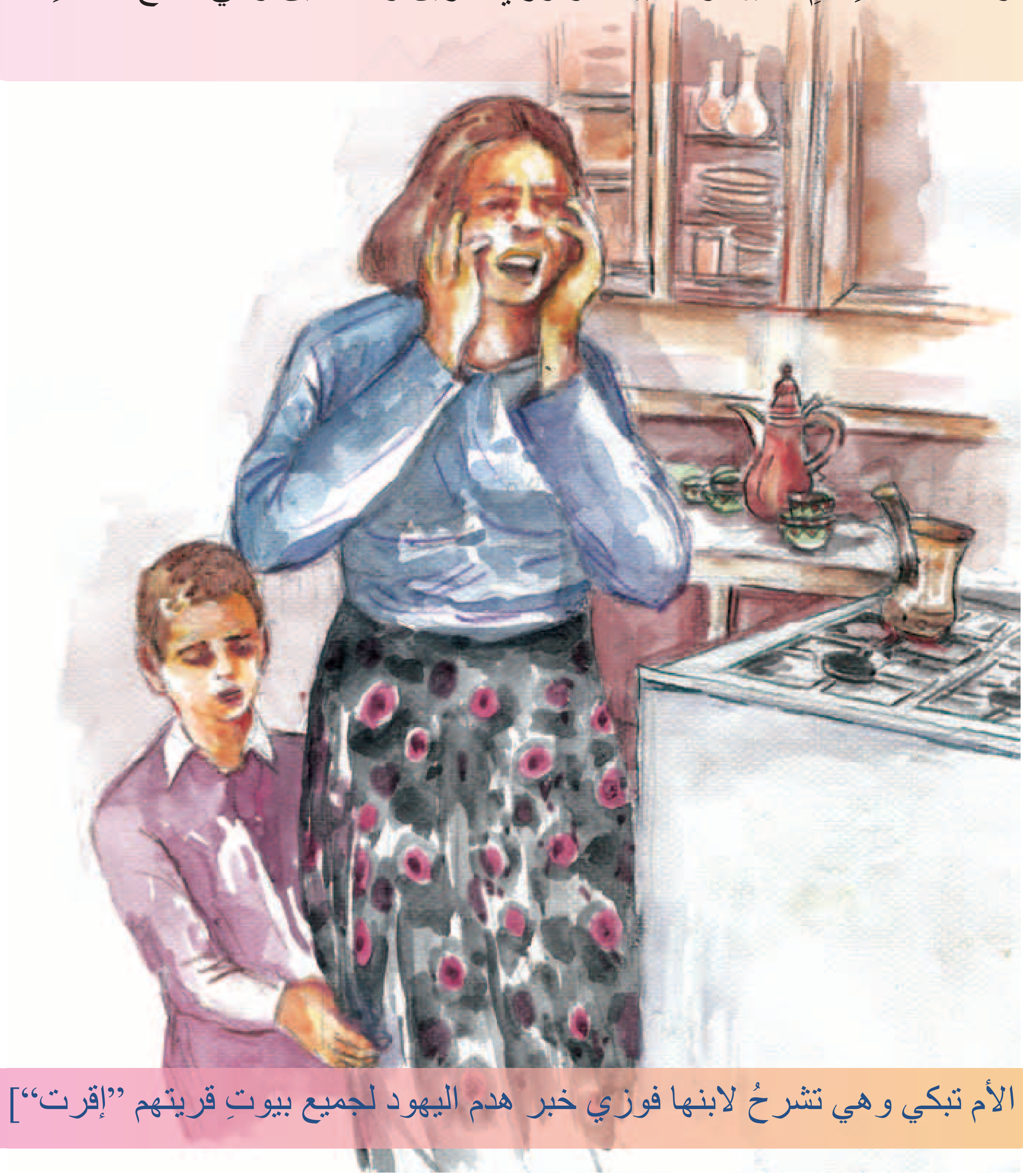

[الأم تبكي وهي تشرحُ لابنها فوزي خبر هدم اليهود لجميع بيوتِ قريتهم ''إقرت'']

لمْ يَكن فوزي يَعلم أن لهُم بُيوتاً غيرَ هذهِ الدّار ، ولكنّهُ فَهمَ اليومَ أنّ بُيوتهم هي في قَريةِ ''إقرِتْ'' ، وأنّهمْ وقبلَ سنواتٍ أُخْرِجُوا مِنها بقوّةِ السّلاح.

- يا ابني .. جاءَ الجُنودُ اليهودُ وأمرونَا أن نَترك بُيوتنا لمدّةِ أسبوعَيْنِ فقطْ .. قالوا لنَا ستَعودون لبيوتِكم حالَ انتهاءِ الحرب .. خُذوا أغراضَكُم المهمّة فقط واتركوا بُيوتكم .. وكنتَ أنتَ يا فوزي طفلاً صغيراً فحملتُكَ ولم أحمِلْ أيّ شيءٍ آخرَ من البيتِ ، وحمَلَ أبوكَ أخاكَ الأكبرَ ، وأمرنا الجُنودُ اليهودُ أن نركبَ السّياراتِ العسكريةِ ، وساروا بنا حتّى وَصلْنا إلى هذهِ البلدَةِ الصّغيرَةِ ''الرّامَة'' ، وَجدْنا بعضاً من بيوتِها خاليةً من السكانِ بسببِ الحربِ ، فَجلسْنا في هذهِ الدّار كما ترى : خمس عائلاتٍ ؛ كلّ عائلةٍ أخذتْ غُرفةً فقط.. يعني سقفاً تنامُ تحتهُ حتّى نعود إلى قَريتِنا ''إقرِت''.

حَملتْ الأمُّ القهوةَ للرجالِ ، وعَادتْ إلى تجمّعِ السّيداتِ والأطفَالِ قائلةً:

- ولكنّ الأسبوعيْنِ أصبحا سَنتيْنِ ، والسّنتينِ صارتا أربعاً .. ونحن ننتظرُ السماحَ لنا بالعودةِ إلى بيوتِنا .. واللهِ كل يومٍ أحلمُ أنّي ذهبتُ إلى بيتِنا ، وأحضرتُ غرضاً مِن أغراضِي أو فستاناً من فساتيني أو بِنطالاً من بناطِيلِ أولادِي ..أمّا اليومَ...

ارتفَعَ صوتُ النساءِ بالبكاءِ .. فارتفَعَ صوتُ الرجالِ ينهروهنّ حتى يتوقّفنَ عن الصُّراخِ؛

كانتْ كلّ أمٍّ تبكي على بيتِها وفراشِها وذكرياتِها في تلكَ الدارِ .. وقد كانَ لهم في كلِّ يومٍ أملاً يتجددُ بأنْ يَعودوا إلى قَريَتِهم الصغيرةِ تلكْ ، وإلى شجرِ الزيتونِ والعِنب الذي يَملأ السّهلَ والجبل.. ولكن اليوم وبعدَ أن عَلِموا بالهدمِ ، انقطعَ أيّ أملٍ لهمْ بالعودةِ ، فكيفَ تكونُ الحياةُ دونَ أملٍ؟!

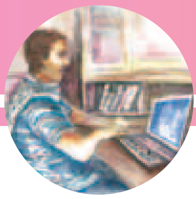

ذهبتْ أمُّ فوزي لفراشِها وقلبُها حزينٌ على أهلِها وقريتِها : فأهلُها هُجِّروا، وبيوتُ قريتِهم هُدِّمَتْ.

صحيحٌ أنّهمْ لا زالوا فِي وَطنِهِمْ فِلسطِين وعلى قُربٍ من قَريَتِهم الأصليّةِ ، إلا أنّهم لا يَستَطيعونَ الوصولَ إليها ، أو حتى الاقترابَ منها !!

في تلك الليلةِ لمْ يَنَمْ فوزي وأصْحابُه .. وبَدأوا يفكّرونَ بوضعِ الخططَ لزيارَةِ قريتِهم خلسةً ، دُونَ علمِ أحدٍ من أهْلِهِمْ ..

أحَسَّ جَدُّ فوزي أن حفيدَهُ يَظلُّ نعساناً في النهارِ ، ويَتكاسلُ في القيامِ من فراشِهِ للذهابِ إلى مدرستهِ ، فلمّا جلَسَ وإيّاهُ يَتحدّثانِ ، أقرّ فوزي لجدِّهِ بفكرتِهِ هو ورفاقه لزيارةِ القريةِ بعد هَدمِ بُيوتها ..

[الأم في فراشها وقلبها حزينٌ على أهلها الذين هُجِّروا وقريتهم التي هُدِّمت]

قالَ الجدُّ :

- تعرفُ يا صَغيري أنهُ تمَّ منعنا من السّفرِ إلى "إقْرِتْ" أو رُؤيةِ بيوتِنا فيها أو حتّى قطفِ الزيتونِ عن شجرِها.. ولكنّنا لمْ نَنْسها ، ولنْ ننساها، أليسَ كذلك ؟!

وتوقفَ الجدُّ عن الكلامِ ، وملأَ الدَّمعُ حلقَهُ . وبدا أنّه يُفكِّر هوَ الآخرُ بطريقةٍ لزيارةِ القريةِ مع حفيدِه ؛ فأضاف قائلاً :

- أعرفُ انكم تحبونَ العودةَ إلى القريةِ التي ولدتم بها، وأنا أيضاً اتمنى ذلك ، ونحن جميعاً سكان القرية نُحاول ذلك، ونطلبُ من الحكومة والجيش أن يسمحوا لنا .. ولا حياة لمن تنادي!!

وسكت الجد وتنهد ثم قال وهو ينظرُ للبعيد :

- أتمنى عندما أموت أن أُدْفَنَ في مقبرةِ البلدةِ .. فوالديّ وأجدادِي كلّهُم دُفنوا فيهَا، وأنا أُحِبّ أن أدْفَن إلى جانبِهمْ ، ولكن قل لي ماذا تفعلون الآن أنتَ ورفاقك؟ أراكم تطيلون السهر .

تلعثم فوزِي بالكلام ثم قال :

- يا جدّي ، نحنُ نُراقِبُ الطّرقَ إلى "إقْرِتْ" كلّ ليلةٍ، حتى نجِدُ الوقتَ المناسبَ للذهابِ إليها، ولوْ أدّى الأمرُ للذهابِ سيراً على الأقدامِ .

قالَ الجدُّ وهو يحتضنُ حفيدَهُ بحبٍّ وحنانٍ :

- لهذا إذنْ تَسهرُ أنتَ وزملاؤُكَ كلَّ ليلةٍ ؟! تعرفُ يا صغيري أنَّ ذلكَ صعبٌ، بل ومستحيلٌ بوجودِ كلّ هذا العددِ من الدبّاباتِ والجنودِ ، والأمرُ لنْ يستمرَّ هكذا طويلاً.. وسوفَ يُفرجُها الله ، وتَستطيع عندها الذهاب إلى القريةِ بملءِ حُرّيتِكْ ، المُهم الآن أنْ تُركزَ على دُروسِكَ وعُلومِكَ .. فأنتَ تَرى أنّ بعضَ رجالِ القريةِ وسيداتِها المتعلمينَ يبذلونَ جهوداً مُضنيةً لتعليمكم القراءةَ والكتابة والحسابَ والجُغرافيا والتّاريخَ .. فهلْ ستضيعونَ أملهمْ بالعِلمِ ، كمَا ضاع أملهُم بالأرضِ ؟ .. لا يا حفيدي .. لا ..

كانتْ مدرسةُ الأولادِ في القرية مدرسةً صغيرةً ، يَدرسُ فيها الأبناءُ والبناتُ، وتطوّع الرجالُ المُتعلمون والنساءُ المتعلمات لتعليم أبنائهم ، وكانتْ أمُّ فوزي نفسُها تذهبُ يومياً لإعطائِهم دروساً في الدينِ والتاريخِ ، وتحثُّ ابنها فوزي على الاهتمامِ بهذهِ المواد تحديداً..

بعدَ سنواتٍ تُوفيَ جدُّ فوزي ، فأصرَّ فوزي وأصحابُه الشباب على مُرافقَةِ الجثمانِ إلى مقبرةِ "إقْرِتْ" لدفنِه هناك قائلاً :

- تلك وصيةُ جدّي الحبيب ، وأنا سأقوم بذلك.

أيّد بعضُ الرجال الأمر .. فجدُّ فوزي كان دائماً يُوْصِي أن يُدفَنَ جُثمانُه في مقبرةِ القريةِ قربَ والده وجدّه، والطُّرُق إلى القريةِ أصبحت سالكةً .. فلِمَ لا يُحاولونَ ذلك؟ الأمرُ بحاجةٍ إلى جُرْأةٍ وإقدامٍ..

ولكنَّ رجالاً آخرين استنكروا الأمرَ ورفضوهُ جُملة وتفصيلاً ، فكيفَ يخالفونَ تعاليم "الجيشِ الاسرائيليّ" ويذهبونَ إلى القريةِ لدفنِ الميِّت ؟!!

وأمامَ إصرار فَوزي وأصحابه ، استأجرَ أهلُ فوزي سيارةً كبيرةً وذهبوا للقريةِ، ودَفنوا الجدّ في جنازةٍ صغيرةٍ ، وعادوا وهم يَشعرونَ بالشعوريْن مَعاً : النّصرُ والخوفُ .. فهذهِ أوّلُ مرّةٍ يتمُّ خرقُ القانونِ الاسرائيليِّ عَلناً..

مضت أيامٌ وأبناءُ القريةِ يتوقّعونَ أمراً ما من الجيشِ الاسرائيليِّ ، وسَرتْ موجةٌ من الهمسِ بأنّ أمراً عسكرياً وصلَ لأهلِ فوزي، بأن يعودوا لأخذِ جثمانِ ميِّتهم من المقبرةِ !!

وسرَت موجةٌ من المشاعرِ الجيّاشةِ في بيتِ فوزي وعندَ أهلِهِ .. أخذتْ والدتُه تلطمُ خدّيها وتلومُ نفسَها أنّها وافقتْ على دفنِ والدها في المقبرةِ ، فكيف سيقومونَ الآن بإخراجِ الجُثّةِ مِنهَا ؟!

وجاءَ جارُهم يلومُهمْ على تَسرُّعِهم بالدفن وَعدمِ استماعِهم لنصيحتِهِ " بعدمِ مُخالفةِ قوانينِ الجيشِ الاسرائيليِّ " .

ولكنّ فوزي ورفاقه كانوا قدْ احتاطوا للأمرِ ، فلمْ يأبَهوا لهُ ، بلْ ورَفَعُوا دَعوى في المحكمةِ تُطالبُ بحقّهم في دفنِ موتاهُم في المقبرةِ !! وأرْجَأوا تَنفيذ أوامرِ الجنودِ الاسرائيليّن لحين بتِّ المحكمةِ في الدعوى !!

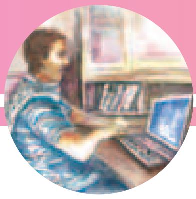

هَدَأتِ النّفوسُ قليلاً ..واحتضنت أم فوزي ابنهَا فخورةً بما قام به هو ورفاقهُ.

أبلغَ فوزي ورفِيقاهُ عفيفٌ و نعمان أهلَ قريتِهم أنهُم عِندَما ذَهبُوا للقريةِ ؛ رَأوا أنّ كَنيسَتَها قدْ تبهدَلتْ أحوالها كثيراً :

- فقدْ هُدّمَت أطرافُها وتساقطَت الحجارةُ من جُدرانِها ؛ تصورُوا يا جَماعَة أنّ الكنيسةَ الآنَ أصبَحت "زريبةً" للحيواناتِ .. تصوّروا الدّجاج والخِراف تَركُضُ في ساحاتِها وتضعُ مُخلّفاتَها على الأرضِ .. فمَا الحلّ؟!!

سكتَ الجميعُ عندمَا دُقّ البابُ ، وانطلقَ والدُ فوزي إلى بابِ الدارِ ليَرى مَن القادِم.. وانتشرَ الهمسُ بين الجَميعِ قائلِيْن :

- سيادةَ المُطران يُوسف ريّا قادِمٌ .. سَيّدُنا قادمٌ..

ودخلَ رجلُ الدينِ الوقورُ إلى ساحةِ الدارِ، وأفسحَ لهُ الرجَالُ المكانَ ، بينما دَخلتْ السّيدات إلى إحدى الغرفِ مع أطفالِهنّ .

[سيادة المطران يوسف ريا يعلنُ عزمَهُ العودةَ لكنيسةِ القريةِ : بيتِ الله وبيتِه رغم أنفِ العدو ومهما كلّفَ الأمر]

ولكنّ فوزي وقدْ أصبحَ شاباً يُحسب له الحساب وقَفَ مَع أصدِقائِهِ نُعمانَ وعفيفَ وغصوبَ ليؤكِّدوا لسيادَةِ المطرانِ ما شاهدُوهُ مِن أمرِ الكَنيسةِ ..

قالَ الأبُ يوسف :

- ها انتمْ كما ترون ، كلُّ شهرٍ ، بل كلَّ أسبوعٍ ومنذُ عام النكبة ١٩٤٨م و حتى اليومَ، نُقدِّمُ الأوراق للسماحِ لناً بالعودةِ إلى بَلدتِنَا وبُيوتِنا في ”إقْرِتْ“ .. ولا مِن مُجيبٍ..

وبماذا يُجيبونَ؟ يقولون : ”منطقةُ أمنٍ“ .. يعني أمنٌ لمن ؟ لهم ؟ لجنودِهم؟ لدباباتِهم؟ ونحنُ؟ نبقى هنا في العَراءِ والخيامِ ودورِ الناسِ ، محشورينَ فيها كالسّردين ؟

لقد مرّتْ سنواتٌ لم نترك باباً إلا وطرقناهُ ، حتى المحكمَةِ العليا رفعنا فيها قضيةً ، لإعطائِنا ولو سَبباً واحداً لإبعادِنا عن قريتِنا وبيوتِنا وكنيستِنا ، بل أقولُ لكم : مقبرتنا التي دُفِنَ فيها أباؤنا وأجدادُنا ..

وارتفع صوتُ الرجالِ بالهَمْهمةِ والتأييْدِ، وفوزي وعفيف يسمعانِ ولا يتحرّكان..

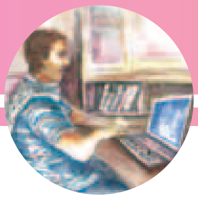

وأكملَ سيادة المطرانِ يوسفُ كلامَه قائلاً :

- وقد عَلِمتُم أنّ دباباتِ الجيشِ هَدَمتْ جميعَ بيوت القريةِ بيتاً بيتاً.. أي أنكم أصبحتم بلا بيوت نهائياً هناك ، ويعني أنّكم لنْ تعُودوا إلى "إقرت" أبداً ، وعلمتم أنّ الكنيسة قدْ هُدِمت أطرافُها واستُبيحت ساحاتُها ، بل وأصبحَتْ مَرتعاً للحيواناتِ ومخلفاتِها، وحفاظاً على كنيستِنا ، بَيتِ الله وبيتي وبيتِ رجال الدينِ ، فقد اتفقتُ مع بعضِ رجالِ الدين من قَريتِنا ، ومن القريَةِ المُجاورَةِ "كفر بُرعُم" أن نذهبَ إليها حالاً وسيراً على الأقدامِ حتى نحميها بأجسادنا !!

وسرتْ همهمةٌ بين الرجالِ ؛ الذين توافدَ عليهِم رجالٌ آخرونَ من باقي القرية ، حتى احتَشَدَتْ ساحةُ الدارِ والطّرقُ الخارجِيّةِ بِهِمْ ..

ومن بينِ الحشودِ وصلَ عشرةُ رجالٍ بلباسِهم الدّينيّ المسيحيّ ، وأمسكوا بأيديهم صفاً واحداً ومَشوْا باتجاه قرية "إقْرِتْ" وكنيسَتِها..

قامَ فوزي من فورهِ ، ولبِسَ حِذاءَه ، ومَشى مَع الرّجالِ!!.

في غرفةٍ صغيرةٍ ومنذُ أنْ هُجّر أهلُ القرية، رُصَّت آلاتُ الطباعةِ لكتابةِ الرّسائل بكلِّ لغاتِ الأرض : هذهِ بالعربيةِ وتلكَ بالانجليزيةِ ، وأُخرى بالألمانيةِ والرُّوسيَّةِ وأكثرُ من واحدةٍ باللّغةِ العبريَّة .. وَطُبعت البيانات والرَّسائلُ ، وأُرسِلَت للصُّحفِ ووكالاتِ الأنباءِ والجرائد ، وإلى رُؤساءِ الدُّول وبالذّاتِ إلى رئيسةِ وزراءِ ''الكيانِ الصّهيونيِّ'' آنذاك ''جُولدامِئير'' .. تَشرحُ قَضيَّةَ القَريَةِ وكنيستِها ومَقبرتِها!

مُنذُ وصلتْ جولدا مئير إلى أرضِ فلسطين ، وهيَ تعمَلُ على إخلاءِ فلسطين مِن أهلِها.. لقد قالوا لها أنَّ: فلسطين ''أرضٌ بلا شعب'' ، وأنَّ اليهودَ '' شعبٌ بلا أرض''، وأنها وكلّ اليهودِ في العالَمِ يجبُ أن يَحضُروا لفلسطين لزراعةِ أرضِها وبِناءِ بُيوتِها وتعمير مَصانِعها، فلمّا وجَدوا أهلَها قدْ عمَّروها وزَرَعوهَا مُنذُ آلافِ السّنين، قرَّرُوا قَتلَهم أو تهجيرَهُم منها..

[أبناء القرية وبناتها يكتبون الرسائل يشرحون قضيتهم لكل الحكومات ووسائل الإعلام]

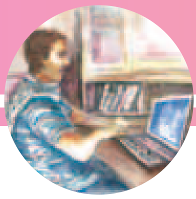

كانتْ جُولدا مَئير أكثرَ المهاجرينَ اليهودِ إلى فلسطين إيماناً بوُجوبِ قتلِ الفلسطِينين وتهجيرِهم ، وقد جَمعتْ في صباها ملايين الدولارات لشراءِ الأسلحةِ للعصاباتِ اليهوديَّة لقتلِ السُّكان وهَدمِ القُرى والمُدنِ .. فَلمَّا عَلمَت أنَّ سُكانَ قَريَتَيْ " إقرت وكُفر برعم" ، قدْ حمَّلتهم السياراتُ العسكريةُ خارجَ قريتهم ، تمنّتْ لوْ أنّ السياراتِ رمتهُم خارجَ فلسطين، بل تمنَّتْ لو قَتَلتْ كلَّ أطفالهم دُفعةً واحدةً كما فعلوا في بعض المدن الفلسطينية الأخرى. كانتْ جُولدا مَئير تَقولُ: "كل صباح أتمنى أنْ أصحُو ولا أجد طِفلاً فلسطينياً واحداً على قيدِ الحياةِ ".

وظلَّت رسائلُ أهلِ "إقرتْ" و "كُفر برعم" تَصلُ مكتبَ جولدا مئير ، وهيَ تُمزّقُها إرَباً إرباً ، لا تريدُ أن ترضخَ لهم أو تقبل مطالِبَهمْ .. إنها تريدُ "أن تصحو ولا تجدُ طفلاً فلسطينياً واحداً على قيد الحياة".

[جولدا مئير المولودة في بولندا والمهاجرة إلى فلسطين تترأسُ حكومة العدو ، وتتمنى أن لا تجد طفلاً فلسطينياً واحداً على قيد الحياة ..]

ولكنَّ رسائلَ التأييدِ لسكانِ قَريتَيْ " إقْرِتْ" وجَارتِها "كُفُر بُرْعُم" ولكنيستِهِم الصَّامِدَةِ انهالت عليها مِن عِدّةِ دولٍ ، أهمُّها رسالَةً من "بابا الفاتيكان" في روما لحمايةِ الكنيسةِ ورِجالاتِها ، فاضطرَّتْ لِقبولِ الأمرِ ، وسَمَحتْ لرجالِ الكنيسةِ بالبقاءِ في كنيستِهم ، بلْ سَمحتْ لهمْ بِصيانتِها وبناءِ ما هُدِمَ مِنها.

سادَ الفرحُ قريةَ "الرامة" ، واجتمعَ الرّجالُ والنساءُ في ساحةِ الدارِ للاحتفالِ بانتصارِهِم على قَوانينِ جيشِ الاحتلالِ ودبّاباتِهِ .

ومَشى فوزي وعَفيفُ مع عَشَراتِ الشبابِ يَحتفِلونَ بانتصارِهِم .. لقد كَبُرَ الأولادُ الصغارُ ، وحَملوا الرّايةَ مع آبائِهِم لمُقارعَةِ العدوّ الغاصِبِ..

حملَ فوزي بسيَّارتِه عشراتِ الأكياسِ من الاسمنتِ والحصمةِ والرملِ ، بَيْنما حَمَلَ عفيفٌ عدداً من العمالِ، وتَبِعَهُم نُعمان بالأكلِ والشرابِ ، وانطَلَقُوا إلى كَنيسَتِهِم في "إقْرِتْ" ..

كانَ رِجالُ الدينِ في الكنيسة ، لمْ يُغادرُوها مُنذُ عَادوا إليها ، يَستقْبِلونَ في كُلِّ مُناسبَةٍ أهالِي قَريتَيْ : "إقْرِتْ وكُفُر بُرْعُم" ، ليؤكّدوا جميعاً عُروبَةَ هذهِ الكنيسةِ وهذهِ الأرْضِ رغمَ جَبرُوتِ العدوِّ الاسرائيليِّ ودَبابَاتِهِ وجُنودِهِ.

في تِلْكَ الليلةِ نامَ فوزي في ساحَةِ الكَنيسَةِ ، بَنى خَيمَةً صغيرةً في الساحةِ ونامَ فيها بِهدوءٍ .. وما أجْمَلَهُ مِنْ هدوءٍ . بعد يومين وفي اللّيلِ جاءَ جُنودٌ اسرائيليُّون وحَمَلُوهُ خارِجَ الخَيمَةِ وهَدَمُوهَا قائِلين :

- هذِهِ أرضُ منطقةٍ عسكريةٍ لا يُسمَحُ للعَربِ أنْ يبقوا فِيها .. ارحَلْ مِن هُنا.

ضَحِكَ فوزي في سِرِّهِ وقال :

- حتى لَو هَدَمتمْ بُيوتَنا وخِيَمنا ، فالأرضُ لنا وستبقَى لَنا.

في الصَّباحِ الباكرِ عادَ فوزي إلى بَيتِهِ الصَّغيرِ في ''الرّامةِ''.. كانتْ عائلتان مِن الأربعِ الأخرى قدْ غادرتَا الدَّار ، فَعُلبةُ السردينِ لمْ تعدْ تتَّسِع لهُم ، وقدْ كَبِروا وزَادَ عَددهُم . .

وكانَ هُوَ أيضاً يَعُدُّ العُدَّةَ لتركِ البيتِ .. ألمْ يَدرسْ بِجدٍّ واجتهادٍ حتى أنهى دراستَه الجامعيّة ؟ ألمْ يَنَلْ شهادَتَه ليصبحَ معلماً في إحدى مدارسِ مَدينةِ '' النّاصرَةِ'' العَربيَّةِ القَريبةِ ؟ .

[حتى الخيمة التي نصبها فوزي في ساحة الكنيسة هدمها الجنود الاسرائيليون]

على الآلةِ الطابعةِ ، أكملَ فوزي كتابةَ رسالتهِ (رقم100) للمحكمَة ”ولدولةِ اسرائيل“ يُطالبُ فيها بإعادةِ مَقبرَةِ قريةِ ”إقْرِتْ“ لأبْنائِها ، حتى يُحافِظُوا على قبورِ أجْدادِهِم، ليُدفَنُوا فيها !!.

كتَبَ الرِّسالةَ بكلِّ لغاتِ الأرضِ : العربيَّةِ والانجليزيَّةِ والألْمانيَّةِ والرُّوسيَّة.. وأكثر مِن رِسالةٍ كَتَبَها باللغةِ العِبريَّةِ وأرسلهَا للصُّحفِ ووكالاتِ الأنباءِ والجرائِدِ ورُؤساءِ الدُّولِ وبالذاتِ إلى رئيسَةِ دولةِ العدوّ نفسها .

[النضال يحتاج إلى جرأة وإقدام، كما يحتاج إلى مثابرة وصبرٍ ..]

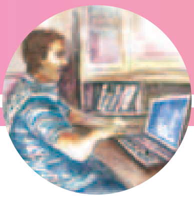

كانَ في سرِّه يَضحَكُ مِنْ نَفسِهِ على محاولاتهِ تِلكَ ، فالأمر يحتاجُ إلى جُرأةٍ وإقدامٍ، كما يحتاجُ إلى مثابرةٍ وصبرٍ، وبمساعدةِ أصدقائه عفيف ونعمان ، وبالتَّعاونِ مع رجالِ الكنيسةِ في ''إقرت'' أكمَلَ مشوار والده والرّجال الكبار في القريةِ ـ فكلّهم كانوا يؤمنونَ بأنَّ العودة لقريةِ ''إقرت ''وجارتها ''كُفْر بُرعم'' أكيدةً وأنَّ هؤلاء اللصوص الكبارِ والإرهابيّين الذين سَرَقُوا الأرضَ وهَدمُوا البُيوتَ ، لابُد وأنْ يَرحَلُوا عنها ؛ فالقوّةُ مَع الظُّلم لا تُسيْطِرُ إلا مؤقتاً على الأرضِ .

وَصَلَتْ الرّسائلُ ، وتوالتِ الرُّدودُ تؤكِّدُ على حقِّ سُكان القريةِ بمقبرتِها ، وحقّهم بحمايةِ قُبورِ أجدادِهم وآبائهِم .. حتّى المحكمَةَ أعطتهم هذا الحقّ.

وسادَ الفرحُ مرَّةً أخرى قَرية ''الرّامة'' وسُكّانها من قريةِ ''إقرت'' .. وحَمَلوا الشموع وذهبوا سيراً على الأقدامِ إلى كنيستِهم ؛ ليُقيموا فيها صلاة شكرٍ لله تعالى أن ساعدهم في استعادةِ حقِّهم .

كان سيادةُ المطران يوسف ريّا قدْ بلغَ مِن العُمرِ عِتيًّا .. فلمْ يستطِع أنْ يَقِف على قَدميْهِ، وسط هذا الحشدِ الهائل من النساءِ والرجالِ والأطفالِ..

جلسَ يوسفُ والدموعُ تملأُ عيْنيهِ ، وهوَ يَرى الأطفالَ وقدْ كَبِروا وأحضَرُوا أطفالَهُم للعمّادِ في الكنيسةِ .. بارَك لَهُم خطَواتِهم ، ودعى اللهَ ملياً أنْ يُعيدَ كلَّ شبرٍ في فلسطينِ لأهلهِ : مُسلمينَ ومسيحيينَ ..

وتسلَّم مفاتيحَ المَقبرةِ ، وسَلَّمَهَا لنائبهِ قائلاً..

- حافظُوا على بُيوتِ الله .. ولا تُفرِّطوا بِحقُوقِكُم ..

[المطران يقول لأبناء رعيته : حافظوا على بيوت الله .. ولا تفرطوا بحقوقكم.]

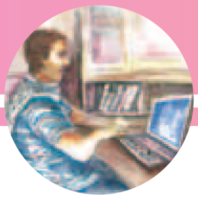

بعدَ أيامٍ جَلسَ فوزي وأصدقاؤهُ أمامَ شاشاتِ أجهزة الحاسوب بدلاً من آلاتِ الطباعَةِ القديمَةِ ، رَسموا خريطةَ فلسطين ووضَعُوا عَليها أسماءَ القرى والمُدنِ العربيّةِ التي كانتْ تمْلؤها قبل عام النكبةِ عام ١٩٤٨، وأخذُوا يَعدُّون:

- هنا ثلاثٌ وثلاثونَ قريةً هُدِّمَتْ ، وهُجِّرَ أبناؤُها : يالو ، دِير القَاسِي ، سروح ، جبُّول ..
- هنا خمسٌ وسبعون قريةً هُدِّمتْ ، وهُجِّر أبناؤها : بيت عفّا ، الأشرفية، الطيرة، عمواس
- هناك تسعٌ وتسعونَ قريةً هدّمت، وقتلَ أبناؤها بوحشيةٍ .. دِير يَاسين .. الطنطورة، الدوايمة .

كَتبُوا أسماءَ القرى والمُدن كُلّها .. طَبَعوهَا على الوَرقِ وفي الوِجدانِ وفي القلوبِ .. وتَعاهدُوا ألاَّ يَنْسُوا يوماً ما فعلهُ المُجرمونَ بآبائهم وإخوانِهم .

وعندمَا تُوفّيَت جَدَّةُ نعمان "وردة" ، حَمَلها الرجالُ علناً ودفنُوهَا في المقبرةِ، ثمَّ رَفعُوا دَعوى جديدةً ضدَّ الجيشِ الاسرائيليِّ يُطالِبُونَ فيها الحُكومَةَ أنْ تَمُدّ خُطوطاً مِنَ الكهرباءِ للقريةِ "إقْرِتْ" .

ضَحِكَ فوزي في سِرِّهِ مرَّةً أخرى ، وهو يرى جرأتَهُ وجرأةَ الشبابِ تتزايَدُ وتتزايدُ مَطالِبُهم ، ولكنَّهُم فُوجِئوا يَوماً بأعمِدَةِ الكهرباءِ تُنْصَبُ أمامَ الكنيسةِ لإنارَتِها ..

بَقيْنا هُنا في الخوفِ والظُّلمةِ .. وكانَ لِصُمودِنا ثمناً باهظاً...

لكنّنَا حَافظْنا على أرضِنَا وهَوِّيَتِنَا العربيَّة.

أسماءٌ لا تُنسى

[كتبوا أسماءَ القرى والمدنِ كلها .. وتعاهدوا ألا ينسَوْا يوماً ما فعلهُ اليهودُ بآبائِهم واخوانِهم]

A.C.P
الرأي
مطابع الرأي التجارية

المملكة الأردنية الهاشمـــية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٦/٩/٤٥٦٩)

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الأديبة

روضة الفرخ الهدهد

صدر للمؤلفة الكتب التالية للأطفال:

* سلسلة حكايات بطولية للأطفال (1–26) تناسب الطلاب من الصف الرابع.
* سلسلة حكايات الغول (1–3) تناسب الطلاب من الصف الثاني.
* سلسلة قصص الصحابة (1–2) تناسب الطلاب من الصف الثالث.
* سلسلة المسرح (1 – 7) / قدمت على المسارح وقام بأدائها الأطفال من عمر 6 إلى 17 سنة.
* قصص الطفولة المبكرة (1–5) تناسب الطلاب من الصف الأول الأساسي.
* سلسلة حكايات علمية وأخرى (1 – 8) تناسب الطلاب من الصف الرابع.

كما صدر للمؤلفة :

* كتاب اليافاوية باللغتين : العربي والانجليزي سيرة ذاتية (1)
* كتاب من يافا إلى عمان مع المحبة سيرة ذاتية (2)
* كتاب ثقافة الأطفال في الأردن

تصفح السيرة الذاتية واقرأ الكتب على موقع الكاتبة

Website: www.rawdahudhud.com

E-mail: rawdahudhud@msn.com

تطلب الكتب من دار كنده للنشر والتوزيع

Tel: +962 6 592 92 82 Fax: + 962 6 592 21 45

p.O. Box: 815331 Amman 11180 Jordan